# قراءة منظورية في ومضتين لمصطفى علي عمَّار

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر

سأتناول هنا ومضتين للكاتب المصري مصطفى علي عمَّار من زاوية المنظور السردي وتأثره السلبي باستعمال صيغة التعريف بالألف واللام في الومضة، وهما ومضتا "رحيل" و"خطبة". وهذه الومضة مروية بضمير الغائب والراوي لا يشارك في الحدث بأي شكل من الأشكال، كما أنه لا يقدم لنا الومضة من خلال منظور أي شخصية من الشخصيات، وإنما يقدم لنا الحدث من منظور خارجي بحث ويقرنه في نهاية الومضة بمنظور داخلي أو بالأحرى منظور ذاتي يذكر من خلاله المبرر الذي يجعل الشخصية تقوم بما تقوم به. ومن نافلة القول إن طبيعة استعمال ضمير الغائب تستلزم وجود فجوة أو مسافة تُبعد الراوي عن الاندماج في الحدث المروي وتمنعه من استعمال صيغة التعريف، فالتعريف في هذه الحالة يُخرج المعرَّفَ إلى نطاق التعميم أو التجريد في الغالب.

يقول الراوي غير المشارك في الحدث بضمير الغائب في ومضة "رحيل": **"مات الحاكم العادل فوقف رجل الأمن يروّع المواطنين في**

**الشارع، يجمع الإتاوات منهم لأجل الحماية"**. عبارة "مات الحاكم العادل" تجعل الحاكم هنا رمزا وفكرة وليس شخصية من لحم ودم، فالألف واللام يجعلانه الحاكم العادل الوحيد أو صورة لفكرة العدل في الحكم أو الحكم بالعدل ولا يجعلانه شخصية محددة. لو ذكر مثلا: "مات حاكم عادل" قد تكون مقبولة بالرغم من أن الومضة ذاتها تقوم على الفكرة وليست على تجسيد الشخصية.

ونجد المشكلة ذاتها في "رجل الأمن" المعرّفة بالإضافة، وخاصة في الألف واللام المقترنة بكلمة "الأمن" وإن كانت بشكل أقل، فرجل الأمن هنا رمز لكل رجال الأمن، فهو ليس "رجلَ أمنٍ" بل "رجل الأمن"، الأمر الذي يُخرج الومضة أيضا من سياق مخصَّص ومن تجسيد لموقف سردي محدد إلى إطار التجريد وكأن المشهد يتكرر في كل مكان في البلد الافتراضي الذي يدور فيه حدث الومضة.

واستعمال صفة "العادل" بالإشارة إلى ذلك الحاكم يؤكد نزعة التجريد في هذه الومضة. هل العدل صفة منظورة يمكن لأي شخص أن يراها ويصف بها ذلك الحاكم؟ لو كان حاكما عادلا فعلا، فمن المفترض أن رجال الأمن في دولته يتسمون بالعدل بشكل أو بآخر، وإلا كان سلوك أحدهم هنا بعد موت ذلك الحاكم يدل على أن رجال أمنه كانوا ينافقونه أو يمثّلون العدل أمامه وما إن مات حتى ظهروا

على حقيقتهم، وهذا بدوره ينفي صفة العدل لدى ذلك الحاكم وينفي أهليته للحكم.

وتقوم الجملة الثانية من الومضة على التضاد أو التنافر بين "الأمن" و"الترويع" وكأن رجل الأمن ليس برجل أمن! كيف يستقيم ذلك والراوي يستعمل معه صيغة التعريف التي تجعله رمزا للأمن ورمزا لكل رجال الأمن؟ يبدو أن الراوي يرى في الومضة بوجه عام مجرد مفارقة أو تباينا أو تضادا لا يستند إلى منطق في الحدث ولا يجعلنا نجدى صدقا فنيا في الحدث المروي.

ونصل هنا إلى الجملة الأخيرة – "يجمع الإتاوات منهم لأجل الحماية" – وهي جملة لا يمكنها أن تمثّل منظور شخصية رجل الأمن الداخلي، فلو كان رجل الأمن يفعل ذلك فعلا، فهو لا يسمي ما يجمعه من الناس "إتاوات"، وإنما يستعمل الراوي هذه الكلمة وتعبر عن منظوره الشخصي. والراوي هنا غير مشارك في الحدث، وبالتالي يكون منظوره منظورا ذاتيا يفرضه على الشخصية ويبرر به سلوكها، وكونه غير مشارك لا يتيح له أن يفسر الحدث بهذا الشكل الفج.

من الواضح هنا أن الومضة تقوم على رؤية أصولية للعالَم، وتتمثل هذه الرؤية في أن العصور السابقة أفضل من العصر الحالي

على مستوى كل شيء، فالعصر السابق في الومضة – عصر الحاكم العادل – يجسّد العدل المطلق للحكام، والعصر الحالي – عصر رجل الأمل الذي يقوم بالترويع ويفرض الإتاوات – يجسد الانحدار التام لفكرة العدل وفكرة الحكم ذاتها، وكأن الراوي يعيش في عصر سابق أو ماضٍ ولم يستطع أن يندمج في العصر الحالي فوصفه هذا الوصف التقريري المباشر الذي يقوم على الفكرة أولا وأخيرا دون أن يسلط الضوء على موقف في حياة الشخصية تجعلنا نراها بحياد بعيدا عن التقييم أو القسر أو التوصيف الذي لا يحتمله الحدث.

ويقول الراوي في ومضة "خطبة" التي أرسلها مصطفى علي عمار للنقاش على سنا الومضة القصصية بتاريخ 3 سبتمبر 2014:

**"نادي الإمام بالتبرع للفقراء؛ وضع يديه في جيبه لم يخرجها".**

فنجد هنا نفس مشكلة استعمال الألف واللام مع الشخصية التي تُذكر لأول مرة في نصِّ الومضة، وهي شخصية الإمام. فالتعريف هنا يدل على إمام بعينه أو صفة أو فكرة الإمام/الإمامة بوجه عام. كما أن السياق يدل على أن كلمة "الخطيب" هي المقصودة هنا، فالإمام في المسجد لا تطلق إلا على من يؤم الناس في الصلاة. وعندما تستعمل الكلمة في نص قصير مثل الومضة ستوحي لنا بأن الراوي سيرد لنا حدثا خاصا بالصلاة وليس بالخطبة.

من المفترض أن شخصيات الومضة شخصيات محددة من لحم ودم، ومن هنا لابد أن تروي في هذه الومضة حدثا عن إمام بعينه. فالتعريف هنا يجعل الومضة عبارة عن فكرة وليس سردا لموقف يجسد الفكرة من خلال الحدث. الإمام هنا رمز لكل الأئمة. وما معنى الإمام؟ عندما تأتي بصيغة التعريف، لابد أنها تشير إلى فكرة الإمام بوجه عام وهذا غير جائز في الومضة القصصية أو تشير إلى الإمام في مذهب ديني محدد.

الومضة مروية هنا بضمير الغائب، والراوي غير مشارك في الحدث ومن هنا فهو لا يعرف الإمام معرفة شخصية وليس موجودا مثلا في المسجد الذي يخطب فيه هذا الإمام! وعنوان الومضة خطبة، ولذلك فهو خطيب وليس إماما. الراوي من المفروض أنه لا يعرف هذا الإمام أو هذا الخطيب إلا من خلال صيغة التنكير، ويمكنه أن يعرّفه من خلال الإضافة مثلا: إمام مسجدنا. وهذا يُدخل الراوي في الحدث لأنه سيكون مشاركا فيه ولو حتى عن طريق الاستماع للخطبة فقط. ولذلك من الأفضل أن يتغير أسلوب السرد هنا من السرد بضمير الغائب إلى السرد بضمير المتكلم حيث يكون الراوي شخصية ثانوية في الومضة

النقطة الثانية هنا تتعلق باستعمال الفاصلة المنقوطة. لماذا يستعملها الراوي/الكاتب؟ وما وظيفتها ودلالتها؟ هل هناك علاقة سببية بين ما قبلها وما بعدها؟ الإمام هنا ينادي جمهور المصلين بالتبرع للفقراء ولا يوجه كلامه لنفسه، فمعنى الخطبة أنه يخطب في آخرين ولا يخطب في نفسه

وهذا يقودنا إلى النظر إلى ما بعد الفاصلة المنقوطة، فما بعدها ليست له علاقة بما قبلها، فمن المفروض أن يتعلق ما بعدها بالمصلين أو جمهور الخطبة وليس بالإمام/الخطيب هو شخصيا. بداية أي ومضة تؤسس لحدث وتحدد أطرافه أو على الأقل السياق الذي سينمو فيه الحدث ويكون مُنبِئًا له. وكون الشخصية هنا خطيبا يجعل كلامه وخطابه/خطبته موجهة لجمهور الحاضرين بالمسجد وبالتالي نتوقع أن يكون حدث الومضة خاصا بهؤلاء الحضور وليس بالخطيب ذاته.

وعبارة "وضع يديه في جيبه لم يخرجها" بها مشكلة لغوية تتمثل في أن اليدين مثنى وأن الضمير الذي يعود عليهما في "يخرجها" ضمير مفرد والأصح أن نقول "يخرجهما". وإذا نظرنا إلى هذه الجملة من زاوية علاقتها بمن نراهم من خطباء على المنابر، لا أظن أن الخطيب على المنبر يضع يديه في جيبه أثناء الخطبة، فغالبا ما

يستعمل الخطيب حركات الجسد مثل اليدين ليؤكد المعاني التي يرمي إليها من وراء خطبته.

لو كان الراوي قد قام بسرد هاتين الومضتين بضمير المتكلم وعدّل في صياغتهما، كان بإمكاننا أن ننظر للعناصر والشخصيات المعرّفة على أنها جزء من عالم الراوي وهنا يحق له أن يعرفها بالاسم والصفة لأنها معرّفة في عالمه بالنسبة له.

باختصار، نص الومضة بوجه عام نص كامل ومتكامل برغم من قصره الشديد، وكل حرف فيه يلعب دورا مهما، وأي خلل أو سوء استعمال للغة يؤدي إلى إفساد النص بوجه عام.

البداية السردية في الومضة – وفي أي نص سردي آخر – ليست عشوائية، فهي مثل البذرة التي ستنمو سريعا وتشكّل لنا نصا مترابطا عضويا ومنطقيا وحدثيا ودلاليا ومتماسكا لغويا. ولذلك لابد أن يكون أي شيء يأتي بعد هذه البداية ناتجا منها ومبنيا عليها ومستغلا لإمكاناتها. فلا يمكن مثلا أن أذكر شخصا في بداية الومضة، ثم يكون الحدث التالي متعلقا بشخص آخر.

صيغة التعريف في الومضات المروية بضمير الغائب تُقرن الومضة بمنظور الراوي. ونظرا لأن الراوي غير مشارك، فليس له

منظور في النص سوى المنظور الخارجي الذي ينقل لنا الحدث كما لو كان الراوي عينا محايدة لا وظيفة لها سوى النقل. وتأتي المنظورات الأخرى خاصة بالشخصية/الشخصيات بعيدا عن الراوي.

## مراجع

مصطفى علي عمار. "10 ومضات". ومضات أغسطس 2014. الكتاب الرابع في سلسلة كتاب الومضات الشهرية الالكتروني. سلسلة شهرية تصدر عن مجموعة سنا الومضة القصصية على الفيسبوك. تحرير وتقديم: جمال الجزيري. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الالكتروني، 2014. ص 24-25.